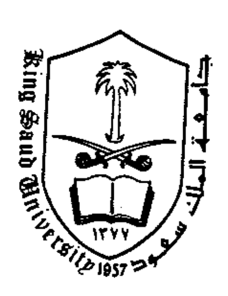
المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
مركز البحوث التربوية
١٣١



فقه النصر بالرعب في الإسلام

إعداد
د. علي محمد حسنين حماد
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية - جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

جميع البحوث البحوث الصادرة عن مركز البحوث التربوية محكمة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
حماد، علي حسنين حماد
فقه النصر بالرعب في الإسلام - الرياض
..ص ...سم (اصدارات مركز البحوث التربوية، ١٣١)
ردمك :. - ٥٤٥—٥-.-٩٩٦٠
ردمد : ٢٦٥٩-١٣١٩
١ - السير (فقه إسلامي) =
أ - العنوان ب - السلسلة
ديوي : ١٨/٠٢٣٢ ١٨/٠٢٣٢

رقم الإيداع : ٢٣٢ ١٨/٠

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود - كلية التربية
مركز البحوث التربوية
ص ب ٢٤٥٨ الرياض ١١٤٥١
ت ٤٦٧٤٦٨٨ - ٤٦٧٤٦٩٠
فاكس ٤٦٧٤٦٨٩

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود - كلية التربية
مركز البحوث التربوية
ص ب ٢٤٥٨ الرياض ١١٤٥١
ت ٤٦٧٤٦٨٨ - ٤٦٧٤٦٩٠
فاكس ٤٦٧٤٦٨٩

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
أهداف البحث	١
أهمية البحث	١
أسئلة الدراسة	٢
منهج البحث	٢
حدود البحث	٢
تعريف النصر بالرعب	٣
أدلة النصر بالرعب	٣
الأدلة من القرآن	٤
الأدلة من السنة	١١
وقائع عملية للنصر في حياة المسلمين	١٩
خصوصية النصر بالرعب للرسول صلى الله عليه وسلم وعموميته لأمته	٢٩
شروط النصر بالرعب للمسلمين	٣٤
خصوص النصر بالرعب وعمومه بالأزمان والأقوام	٣٨
الخاتمة والنتائج	٤٤
ثبت المراجع	٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

فقه النصر بالرعب فى الإسلام

إعداد الدكتور
علي محمد حسنين حماد
الاستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية - جامعة الملك سعود

ملخص البحث :

موضوع هذا البحث هو بيان " فقه النصر بالرعب فى الإسلام " كما هو عنوانه، أى بيان الأحكام الشرعية العملية للنصر بالرعب من الأدلة التفصيلية .

وتتمثل أهمية هذا البحث فى أنه يوضح جانباً من المبشرات لهذه الأمة، وبعضاً من المسائل التى غابت عن الأمة فى موضوع النصر، وأنه يمكن أن يكون بالرعب للعدو دون خوض قتال أو احتدام معارك، ولم يُفرد للموضوع فى عصرنا - على حد علمي - كتابة علمية مستقلة .

وقد اتبعنا المنهج الاستقرائى فى تتبع موضوع النصر بالرعب فى المصادر الأصلية من قرآن وسنة، وتاريخ الجهاد والغزو فى

نخرج عن هذه المصادر المذكورة باعتبارها حدوداً للبحث .

وأما أهداف البحث فقد تركزت فى الآتى :

أولاً : بيان معنى النصر بالرعب فى الإسلام لغة واصطلاحاً، وأدلته من القرآن والسنة .

ثانياً : بيان أن النصر بالرعب قد تمثل واقعاً فى حياة المسلمين فى بعض وقائعهم وغزواتهم مثل " بدر " و " احد " و "الأحزاب" و إجلاء " بنى النضير " من المدينة ... الخ .

ثالثاً : بيان أن النصر بالرعب خصوصية مطلقة للنبى (صلى الله عليه وسلم) وهي مقيدة بالنسبة لأمته من بعده بشروط أهمها التقيد بشرع الله وتطبيقه على الوجه الصحيح .

رابعاً : بيان أن النصر بالرعب هو عام فى كل الأزمان والأقوام، وفى كافة أصناف المشركين والكفار، وأنه على قدر الشرك يكون الرعب فى قلوب المشركين، وعلى قدر إيمان المؤمنين يكون رعب المشركين، وهى سنة إلهية ثابتة فى هذا الكون .

وقد انتهينا إلى أن عقيدة المسلم دائماً وابداً هى أن النصر لا يكون إلا من عند الله، وليس للمسلم إلا أن يأخذ بالأسباب، وأن يُعد العدة كما أمرنا .

وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم،،،

الباحث

In The Name of God, Most Gracious, Most Merciful
Jurisprudence of Victory By Awe In Islam

Prepared by
Dr. Ali Mohammed Hasanain Hammad
Associate Professor
Islamic Studies Department
Faculty of Education
King Saud University

Research Summary :

The subject of this research concentrates on the explanation of the " Jurisprudence of Victory by Awe In Islam " which is its title, as well . It explains the practical legal provisions of victory by awe based on detailed evidences .

The importance of this research is signified by its illustration of some propitious omens for this nation as well as the issues related to victory which are absent in the reality of the contemporary nation . The victory can be attained by casting terror in the heart of the enemy without rushing into battle . In my understanding, this topic has never been addressed in an independent scientific manner in our present time .

We have followed an inductive methodology in pursuing the subject of the victory by awe in the authentic fundamental sources such as the Quran, Tradition of prophet Mohammed, peace and blessing be upon him, and the history of Jihad in Islam to derive the legal rules and provisions govering this subject . In our research, we have never moved beyond the confinements of those authentic fundamental sources mentioned above .

The objectives of the research focus on the following :

First : Explaining the linguistic and technical meaning of the vicotry by awe in Islam and its evidence in the Quran and Tradition of prophet Mohammed peace and blessing be upon him .

Second : Explaining that the victory by awe has been a reality in the

Third : Explaning that the victory by awe is an abslute specificity bestowed upon prophet Mohammed, peace and blessing beupon him, but for his nation after him it is restricted and dependable on a number of requirements, the most important of which, is the adherence to Islamic Sharia and its proper implementation .

Fourth : Explaining that the victory by awe is a common phenomenon in all times and applicable to all people . It is a constant divine rule in this universe that a sort of direct proportion exist between the degree of polytheism and casting of terror in the hearts of polytheists, and between the dgree of believers' strong belief and casting of terror in the hearts of disbelievers, as well .

We have concluded that the Muslim, persistently, has unwavering belief that the victory is decreed by God and the role of the Muslim is to seek expediencies and prepare himself for fighting as per divine commandment in this regard .

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع هذا البحث هو بيان فقه النصر بالرعب في الإسلام، أي بيان الأحكام الشرعية العملية للنصر بالرعب من الأدلة التفصيلية .

أهداف البحث :

يمكن إجمال أهداف البحث فيما يلي :

أولاً : بيان معنى النصر بالرعب في الإسلام وأدلته وشروطه .

ثانياً : بيان أن النصر بالرعب قد تمثل واقعا في حياة المسلمين في بعض وقائعهم وغزواتهم وجهادهم .

ثالثاً : تحقيق القول في خصوصية النصر بالرعب هل هو للرسول صلى الله عليه وسلم فقط أم أنه له ولأمته من بعده .

رابعاً : تحقيق القول - أيضا - في خصوصية النصر بالرعب للمسلمين بزمن معين أو بقوم مخصوصين، أم أنه عام في كل الأزمان والأقوام .

أهمية البحث :

تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يوضح جانبا من المبشرات لهذه الأمة، وبعضا من المسائل التي غابت عن الأمة الإسلامية في موضوع النصر، وأنه يمكن أن يكون بالرعب للعدو دون خوض قتال أو احتدام معارك، ولاشك في أهمية ذلك في هذا العصر الذي تتعرض فيه هذه الأمة لأصناف من الذل والهوان والصغار على يد أعدائها، ومع ذلك لم يلتفت أحد من الباحثين المعاصرين - على حد

علمي - لتجلية هذا الجانب من جوانب النصر بالرعب بكتابة علمية مستقلة تُلم بأطراف الموضوع .

أسئلة الدراسة :

والبحث يثير الأسئلة الآتية :

١ - ما هو النصر بالرعب؟

٢ - ما هي أدلة النصر بالرعب؟

٣ - هل تمثَّل النصر بالرعب في وقائع عملية في حياة المسلمين؟

٤ - هل النصر بالرعب خصوصية من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم، أم له ولأمته من بعده؟

٥ - ما هي شروط النصر بالرعب للمسلمين؟

٦- هل نصر الله للمسلمين بالرعب خاص بزمن معين وبقوم معينين أم أنه عام في كافة الأزمان والأقوام؟

منهج البحث :

هو استقراء وتتبع موضوع النصر بالرعب وأدلته وشروطه في المصادر الأصلية للإسلام من قرآن وسنة للخروج بالأحكام الفقهية التي تحكم هذا الموضوع .

حدود البحث :

ينحصر هذا البحث في شرح وبيان الأحكام الفقهية التي وردت عن موضوع النصر بالرعب في المصدرين الأساسيين للأحكام في الإسلام وهما القرآن والسنة القولية والعملية للرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضا قراءة أحداث ووقائع التاريخ الإسلامي وخاصة تاريخ الجهاد والغزو في سبيل الله والمروي في المصدرين السابقين، والاستشهاد بآراء المفسرين والمحدثين الذين تناولوا هذا الموضوع .

والآن نطرح السؤال الأول : **ما هو النصر بالرعب؟**

١- النصر في اللغة :

النصر في اللغة معروف، فهو من مادة ن ص ر (نَصَره) عل عدوه ينصره (نصرا) والاسم (النُّصْرة) . والنَّصير) (النَّاصر) وجمعه (أنْصار) كشريف وأشراف و(استَنْصَرَه) على عدوه سأله أن ينصره عليه .[1]

وفي القاموس: (نَصَرَ) المظلوم نصراً أعانه . ونصره منه نَجَّاهُ وخلَّصه، وأنصار النبي صلى الله عليه وسلم غلبت عليهم الصِّفةُ . والنُّصْرَةُ حسن المعونة والاستنْصارُ استِمدادُ النصرِ والسؤال .[2]

٢- الرعب في اللغة :

والرعب في اللغة من مادة ر ع ب (الرُّعْب) الخوف . (رَعَبَه) يَرْعَبُه كقَطَعه يقْطَعُه (رُعْباً) بالضم أفْزَعَه ولا تقل أرْعَبه .[3] وفي القاموس : الرُّعْبُ) بالضم وبضمتين الفَزَعُ . رَعَبَهُ كمنَعَهُ خوَّفَهُ فهو مَرْعُوبٌ ورَعيبٌ .[4] ولا يخرج المعنى الاصطلاحي لكلمتي «النصر» و«الرعب» عند المفسرين والمحدثين عن المعنى اللغوي الذي قدمناه وسنزيد الأمر وضوحا في قابل البحث .

والسؤال الثاني الذي نطرحه : **ما هي أدلة النصر بالرعب؟**

تُستمد الأدلة الشرعية أساسا من المصادر المعروفة لنا وأولها

---

(١) مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - دار القلم ، بيروت لبنان- ط ١٩٧٩م - ص ٦٦٢.

(٢) القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الشيرازي - دار الفكر بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م- جـ٢- ص ١٤٢ .١٤٣.

(٣) مختار الصحاح - ص ٢٤٧.

(٤) القاموس المحيط - جـ١ - ص ٧٤.

القرآن وثانيها السنة النبوية .

أ - **الأدلة من القرآن :**

ورد ذكر النصر بالرعب في أربعة مواضع بالقرآن :

١- في سورة آل عمران : قال تعالى : {سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين} (٥) .

٢ - في سورة الأنفال : قال تعالى : { إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان} (٦)

٣ - في سورة الأحزاب : قال تعالى : {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا} (٧)

٤ - في سورة الحشر: قال تعالى : {سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الأبصار} (٨)

ويؤخذ من هذه الأدلة القرآنية ما يأتي :

---

(٥) آل عمران/ ١٥١.

(٦) الأنفال/١٢.

(٧) الأحزاب/٢٥:٢٧.

(٨) الحشر/ ١، ٢.

أولاً : أنها وردت ضمن سور مدنية، تعنى أساسا ببناء الجانب التشريعي في حياة الأمة الإسلامية، ومنها أحكام الجهاد والغزو وما يرتبط بهما من غنائم وفيء، وكيفية وشروط النصر على الأعداء .

ثانياً : ورد التعبير القرآني في الدليلين الأوليين بلفظ «الإلقاء» وفي الدليلين الأخيرين بلفظ «القذف» ففي الدليل الأول يقول الله تعالى : {سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب} [9] وفي الدليل الثاني يقول الله تعالى : {سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب . .}[10]

وأما في الدليل الثالث فيقول الله تعالى : {وأنزل الذين ظاهر وهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب . .} [11] وفي الدليل الرابع يقول الله تعالى : {هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ...}[12] ولا شك أن تغاير الأسلوب في القرآن ليس عبثا فلا بد أنه لحكمة ظهرت لنا أم خفيت .

وبالرجوع إلى اللغة نجد الإلقاء غير القذف . (ألقاه) طَرَحَه تقول ألْقه من يدك والْق به من يدك . و(ألْقى) إليه المودَّة وبالمودة .[13]

(٩) آل عمران/ ١٥١.

(١٠) الأنفال/١٢.

(١١) الأحزاب/٢٥.

(١٢) الحشر/٢.

(١٣) مختار الصحاح- ص ٦٠٣.

والإلقاء يستعمل حقيقة في الأجسام قال الله تعالى : {وألقى الألواح} [١٤] {فألقى موسى عصاه} [١٥] ثم قد يستعمل مجازا كما في آيتي آل عمران والأنفال، وكما في قوله : {وألقيت عليك محبة مني } [١٦] وألقى عليك مسألة .[١٧]

وأما (القَذْف) بالحجارة الرَّمْى بها . و(قَذَفُ) الرجل قاء . وقذف المحصنة رماها وباب الكل ضرب .[١٨]

وفي القاموس : والقَذَافُ أيضاما قبضت بيدك مما يملأ الكفَّ فرميت به أو ما أطقتَ حمْلهُ بيدك ورميتهُ . والتقاذف التَّرامي وسرعةُ ركض الفرسِ .[١٩]

وفي كلمات القرآن : قذف : ألقى وأنزل إنزالا شديدا .[٢٠] ويؤكد «القاسمي» هذا المعنى في تفسيره لآية الحشر «وقذف في قلوبهم الرعب» أي أنزله إنزالا شديدا فيها، لدلالة مادة (القذف) عليه، كأنه مقذوف الحجارة .[٢١]

---

(١٤) الأعراف/ ١٥٠.

(١٥) الشعراء / ٤٥.

(١٦) طه/٣٩.

(١٧) قارن الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- حققه أبو اسحاق ابراهيم أطفيش ، مكتبة الرياض الحديثة- السعودية- ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م جـ٤- ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(١٨) مختار الصحاح - ص٥٢٦.

(١٩) القاموس المحيط - جـ٣-ص ١٨٣.

(٢٠) كلمات القرآن ، تفسير وبيان - الشيخ حسين محمد مخلوف - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م - بدون ناشر - ص ٣٦٣.

ولذلك نرى أن تعبير «الطبري» في تفسيره لآية الأحزاب «وقذف في قلوبهم الرعب» لم يكن معبرا عن حقيقة القذف حيث يقول في معناها: وألقى في قلوبهم الخوف منكم .[٢٢] (يقصد يهود بني قريظة) . فالقذف ليس إلقاءً فقط وإنما فيه زيادة على الإلقاء وهو الإنزال الشديد . وقذف الرعب في القلوب كما يذكر «الرازي» أي إثباته فيه . وفيه قالوا في صفة الأسد : مقذف، كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه .[٢٣] ولو أراد الله سبحانه معنى الإلقاء فقط لعبر عنه كما في آيتي آل عمران والأنفال .

ثالثاً : يلاحظ أن التعبير القرآني «ألقى» في الدليلين الأوليين (آل عمران والأنفال) كان خاصا بالكفار ومشركي العرب عبدة الأوثان وأما تعبير «القذف» في الدليلين الأخريين (الأحزاب والحشر) كان خاصا باليهود «بني قريظة وبني النضير» . ولا شك كما قلنا أن لذلك حكمة وعلة أيضا . وربما – والله أعلم – أن العلة مختلفة عند الطائفتين الكفار وأهل الكتاب . فضعف إيمان المشركين بآلهتهم وأصنامهم، وضعف الأثر النفسي لعبادتهم مثل هذه الآلهة واعترافهم بالربوبية لله دون الألوهية، كل ذلك يلائمه الإلقاء بالخوف في قلوبهم، ففي هذا الإلقاء الكفاية لهزيمتهم وردهم عن المسلمين . وأما أهل الكتاب لإيمانهم

(٢٢) تفسير الطبري عن كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن. هذبه وحققه د .بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط ١-١٤١٥هـ/١٩٩٤م – جـ٦ – ص ١٧٣.

(٢٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب – للامام فخر الدين الرازي- دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان – ط١- ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م –حـ٢٩-ص ٢٤٤.

بالله - حتى مع التحريف - لا يكفيهم الإلقاء، فالأثر النفسي للعقائد السماوية يكون عادة أقوى تأثيراً، وأشد تمكنا في نفوس أتباعه من العقائد الوضعية، واليهود أهل كتاب وأتباع دين سماوي، وإن كان إشراكهم أشد وأقوى من شرك عرب الجاهلية لأنه شرك ألوهية وربوبية معا، وكانوا يعرفون نبوة «محمد» صلى الله عليه وسلم، ولكنهم زاغوا عنها وأنكروها، فكان لابد من شيء زائد على إلقاء الرعب فقط وهو قذف الرعب . أي إنزاله في قلوبهم إنزالا شديدا وبقوة حتى يتلائم ذلك مع إيمانهم وشدة شركهم، وقوة تعلقهم بأسباب مادية كالحصون والمال والنصرة بالغير، وذلك حتى يمكن ردعهم وهزيمتهم أمام المسلمين .

رابعاً : وأما معنى الرعب الوارد في تلك الأدلة الأربعة فقيل فيه بأقوال قريبة من بعضها ومتصلة بالمعنى اللغوي . فالرعْب والرعُب بتسكين العين وضمها هما لغتان ومعناه : الخوف . فيقال : رعبته رُعْبا ورُعُبا، فهو مرعوب . ويجوز أن يكون الرعْب مصدرا، والرُّعُب الاسم . وأصله من الملء؛ يقال : سيل راعب يملأ الوادي . ورعبت الحوض ملأته، والمعنى : سنملأ قلوب المشركين خوفا وفزعا .[٢٤] والرعب، هو الخوف الذي يستوعب الصدر، أي يملؤه[٢٥] وهو أيضا : الجزع والهلع .[٢٦] ويقال : رعبته (من باب فتح) وأرعبته، وأبلغ منه تعبير التنزيل بإلقاء الرعب

(٢٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - جـ٤- ص ٢٣٢.

(٢٥) مفاتيح الغيب - للرازي - حـ٢٩ - ص ٢٤٤، حـ٩-ص ٢٧.

(٢٦) تفسير الطبري -حـ٢- ص ٣٤٤.

وبقذف الرعب في القلب لما فيه من الإشعار بأنه يصب في القلوب دفعة واحدة .[27]

خامساً: قد يتساءل المرء لماذا خص الله سبحانه القلب دون غيره من سائر الجسد بإلقاء الرعب أو قذفه فيه؟ ويجاب على ذلك بأن القلب هو محل العلم كما يقول «الرازي»، وهو بصدد تفسير قوله تعالى «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين»[28] ثم نراه يفصل القول فيقول : إن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له . واحتج لذلك بأدلة من الكتاب والسنة والمعقول أما من الكتاب فمثاله قوله تعالى { فإنه نزله على قلبك} [29] وقوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) [30] . وأما من السنة فما رواه النعمان بن بشير قال سمعته عليه السلام يقول «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[31] .

وأما من المعقول فوجوه . أحدها : إن القلب إذا غشى عليه فلو قطع سائر الأعضاء لم يحصل الشعور به وإذا أفاق القلب فإنه يشعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات فدل ذلك على أن سائر

---

(٢٧) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط٢- بدون تاريخ - حـ٩- ص ٦١٢.

(٢٨) الشعراء/١٩٣:١٩٥.

(٢٩) البقرة/٩٧.

(٣٠) ق/٣٧.

(٣١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني- مكتبة الرياض الحديثة- السعودية- تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز- بدون تاريخ - جـ١ - ص ١٢٦.

الأعضاء تبع للقلب، ولذلك فإن القلب إذا فرح أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك، وكذلك القول في سائر الأعراض النفسانية . وثانيها : أن القلب منبع المشاق الباعثة على الأفعال الصادرة من سائر الأعضاء وإذا كانت المشاق مبادىء للأفعال ومنبعها هو القلب كان الآمر المطلق هو القلب . وثالثها: أن معدن العقل هو القلب وإذا كان كذلك كان الآمر المطلق هو القلب . وإذا كان بعضهم قد نازع في هذا القول الأخير بأن معدن العقل هو الدماغ إلا أن الآيات تؤيد القول الأول وهو أن معدن العقل هو القلب من ذلك مثلا قوله تعالى : {أو لم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها}[٣٢] وقوله :{لهم قلوب لا يفقهون بها} [٣٣] ثم إن الله تعالى أضاف أضداد العلم (الذي محله القلب كما ذكرنا) إلى القلب مثاله قوله تعالى :{في قلوبهم مرض} [٣٤] وقوله :{ختم الله على قلوبهم }[٣٥] وقوله:{فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور} [٣٦]، وأخيراً فإن القلب أول الأعضاء تكوناً وآخرها موتاً، وقد ثبت ذلك بالتشريح . [٣٧] ولذلك كان طبيعيا أن يكون القلب وهو محل العلم، وموضع التمييز والاختيار، والقائد لكافة أعضاء الجسد، هو المقصود بإلقاء الرعب وقذفه وتثبيته فيه، وبالتالي شل واضطراب كافة القوى الفاعلة للكفار والمشركين وأهل الكتاب وكافة الأعداء عموما جسديا ونفسيا وعصبيا .

(٣٢) الحج/٤٦.

(٣٣) الأعراف/١٧٩.

(٣٤) الأحزاب/١٢.

(٣٥) البقرة/٧ .

(٣٦) الحج/٤٦.

(٣٧) أنظر في تفصيل ذلك: مفاتيح الغيب للرازي - حـ٢-ص ٤٩، جـ٢٤ -ص ١٤٢:١٤٥.

ب - الأدلة من السنة :

حفلت نصوص السنة الصحيحة الواردة عن رسول صلى الله عليه وسلم بذكر النصر بالرعب ويكفينا أن نذكر هنا روايات الحديث في صحيحي البخاري ومسلم، ونشير إلى رواياته في كتب السنن الأخرى إلا إذا اختلف لفظ الحديث - فيما يخص دراستنا - عما في البخاري ومسلم أثبتناه في المتن .

أ - روايات الحديث في «صحيح البخاري»:

- أخرج البخاري عن «محمد بن سِنانٍ» و «سعيد بن النضر» بإسنادهما من حديث «جابر بن عبد الله» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نُصرتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شَهرٍ وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيتُ الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٣٨]
- أخرج البخاري عن «يَحيىَ بنُ بُكيرْ» بإسناده من حديث «أبي هريرة » (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بُعثتُ بجوامع الكلم ونُصرتُ بالرُّعب فبْينا أنا نائم أُوتيتُ مفاتيح خزائن الأرض فوضِعت في يدي قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ص وأنتم تنتثلونها» وقوله

(٣٨) موسوعة السنة - دار الدعوة - استانبول - تركيا - دار سحنون - تونس- جـ٢- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م- مجلد ١ - البخاري - جـ١- كتاب التيمم باب ١- ص٨٦.

- وقد أورده البخاري بالمصدر السابق بالسند نفسه في كتاب الصلاة باب ٥٦-ص١١٣.

تنتثلونها أي تستخرجون الأموال من مواضعها[٣٩]

٢ - روايات الحديث في «صحيح مسلم»:

- أخرج مسلم عن «يحيى بن يحيى» بإسناده من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحَمرَ وأسودَ، وأحلت لي الغنائم ولم تُحَلَّ لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا . فأيما رجلٍ أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونُصرت بالرعب بين يَدَيْ مَسيرةِ شهرٍ . وأعطيت الشفاعة»[٤٠]

٣ - روايات الحديث في كتب السنن الأخرى :

أ- فقد أخرج «الترمذي» عن «علي بنُ حُجْرٍ» بإسناده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه «ونصرت

(٣٩) الموسوعة - المجلد ٢- صحيح البخاري - جـ٤- كتاب الجهاد والسير - باب ١٢٢ - ص ١٢.

- وقد أخرجه البخاري بألفاظ قريبة عن :(أحمد بن المقدام العجلي بإسناده من حديث أبي هريرة)

- الموسوعة - مجلد ٣ - البخاري - جـ٨- كتاب التعبير - باب ١١-ص ٧٢.

وعن (سعيد بن عُفَيْر) بإسناده من حديث أبي هريرة)

- المصدر نفسه - باب ٢٢ - ص ٧٦.

وعن (عبد العزيز بن عبد الله بإسناده من حديث أبي هريرة)

- المصدر نفسه - كتاب الاعتصام بالسنة - باب ١ - ص ١٣٨.

(٤٠) الموسوعة - المجلد ٤ - صحيح مسلم - حـ١- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- ص ٣٧٠، ٣٧١.

- وأخرج مسلم نحو ما سبق عن «أبي بكر بن أبي شيبة» بإسناده من حديث «جابر بن عبد الله» المرجع نفسه.

- وأخرج مسلم الحديث بألفاظ متقاربة بأسانيد مختلفة من حديث أبي هريرة. وعبارة الدراسة في هذه الأحاديث لم تتغير «ونصرت بالرعب» أو «ونصرت بالرعب على العدو» - المرجع نفسه- ص ٣٧١، ٣٧٢.

بالرعب» وقال عنه الترمذي «هذا حديث حسن صحيح»[41]

ب- وأخرجه «النسائي» عن «الحسن بن اسماعيل بن سليمان» بإسناده من حديث «جابر بن عبد الله» عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[42].

جـ- وأخرجه «الدارمي» عن «يحيى بن حسان» بإسناده من حديث «جابر بن عبد الله» عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه «ويرعَب منا عدونا مسيرة شهر»[43]

وأخرجه «الدارمي» أيضا عن «يحيى بن حماد» بإسناده من حديث «أبي ذر» عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه «ونصرت بالرعب شهرا، يرعب مني العدو مسيرة شهر»[44]

د- وأخرجه الإمام «أحمد» في مواضع عديدة من مسنده، وبألفاظ متفاوتة، ومتقاربة، وبأسانيد مختلفة. ويهمنا أن

---

(41) الموسوعة - مجلد ١٣- سنن الترمذي - حـ٤- باب ما جاء في الغنيمة، رقم الحديث ١٥٥٣- ص ١٢٣.

(42) الموسوعة - المجلد ١٥ - سنن النسائي - جـ١ - باب التيمم بالصعيد - رقم الحديث ٤٣٠- ص ٢٠٩، ٢١٠.

- وقد أخرجه النسائي بألفاظ متقاربة وأسانيد مختلفة من حديث أبي هريرة. وعبارة الدراسة فيه «ونصرت بالرعب».
- الموسوعة - المجلد ١٦- النسائي -جـ٦- كتاب الجهاد - أحاديث رقم ٣٠٨٥، ٣٠٨٦، ٣٠٨٧، ص ٢:٥.

(43) الموسوعة - المجلد ١٩- سنن الدارمي -حـ١- كتاب الصلاة - ص ٢٦٣.

(44) المرجع نفسه - سنن الدارمي - جـ٢، كتاب السير، ص ٥٤٠، ٥٤١ - وعلق «المدني» المحقق: رواه أيضا: أحمد وأبو داود الطيالسي وأبو داود ورجاله ثقات.

- أقول: ولم أجد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي أي إشارة لوجود الحديث في سنن أبي داود.

نثبت الروايات التي فيها زيادات على عبارة الدراسة في الأحاديث السابقة وهي «ونصرت بالرعب» أو «نصرت بالرعب مسيرة شهر» و من ذلك .

- حد ثنا عبد الله حد ثني أبي ثنا «قتيبة بن سعيد» بإسناده من حديث «عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة «تبوك» قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي، وفيه «ونُصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملىء منه رعبا»[٤٥]
- ومنه حد ثنا عبد الله حد ثني أبي ثنا محمد بن أبي عدي بإسناده من حديث «أبي أمامة» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلني ربي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو قال على الأمم بأربع ومنه «ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه في قلوب أعدائي» وأخرجه بإسناد آخر من حديث «أبي أمامة » أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فُضلت بأربع وفيه «ونُصرت بالرعب مسيرة شهر

(٤٥) الموسوعة - مجلد ٢١- مسند أحمد بن حنبل - حـ٢- ص ٢٢٢. وأخرجه بإسناده من حديث «أبي هريرة » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعبارة المطلقة «ونصرت بالرعب»

- المرجع نفسه ص ٢٦٤، ٢٦٨، ٣١٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١١، ٤١٢، ٤٥٥، ٥٠١، وأخرجه بإسناده من حديث «جابر بن عبد الله» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه «ونصرت بالرعب مسيرة شهر».
- الموسوعة - المجلد ٢٢- المسند -جـ٣- ص ٣٠٤. وأخرجه بإسناده من حديث «أبي موسى» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه «ونصرت بالرعب شهرا».
- المرجع نفسه - المسند - حـ٤- ص٤١٦.

يسير بين يدي » .[٤٦]

- و منه حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن بإسناده من حديث « حذيفة بن اليمان » يقول : غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج فلما خرج سجد سجدة فظننا أن نفسه قد قبضت منها فلما رفع رأسه قال : إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت أى رب هم خلقك وعبادك . فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فقال : لا أحزنك في أمتك يامحمد . وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب . ثم أرسل إلى فقال : ادع تُجب وسل تُعط، فقلت لرسوله أو معطيّ ربي سؤلي . فقال ما أرسلني إليك إلا ليعطيك . ولقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيا صحيحا وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني الكوثر فهو نهر من الجنة يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة ، وطيب لي ولأمتي الغنيمة، وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج »[٤٧]

---

(٤٦) الموسوعة - مجلد ٢٣- المسند - حـ٥- ص ٢٤٨، ٢٥٦.

(٤٧) الموسوعة - المجلد ٢٣- المسند - حـ٥- ص ٣٩٣.

- أورده الهيثمي وقال : رواه أحمد وإسناده حسن.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. بتحرير الحافظين : العراقي وابن حجر - مؤسسة المعارف - بيروت - لبنان - ط١٤٠٦هـ/١٩٨٦م - حـ١٠- ص ٧١، ٧٢.

ويؤخذ من هذه الأدلة من السنة ما يأتي :

أولا: الأحاديث الواردة في الموضوع كلها صحيحة سنداً ومتناً، فهي واردة في صحيحي البخاري ومسلم فهي من المتفق عليه . ووردت هذه الأدلة في كتب السنن الأخرى كما ذكرنا بأسانيد صحيحة .(٤٨)

ثانيا: ترجم البخاري لعنوان الباب ١٢٢ من كتاب الجهاد والسِّير كالآتي (قول النبي صلى الله عليه وسلم نُصرت بالرعب مسيرة شهر وقوله جل وعزّ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب قاله جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤٩) وهو يشير إلى حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوردناه سلفا وفيه «نصرت بالرعب مسيرة شهر»(٥٠) والإمام البخاري هنا يربط ما بين الآية والحديث وذلك لظهور ووضوح المعنى في كل منهما وارتباطه ولذلك لم يفته هذا الأمر بل جعله عنوانا لباب في كتاب الجهاد والسير .

ثالثا: إن عبارة الدراسة في الأحاديث جاءت بألفاظ قريبة على نمطين، فهي إما مطلقة «ونُصرت بالرعب» وإما مقيدة «نُصرت بالرعب مسيرة شهر» ونحو ذلك مثل «ونُصرت

---

(٤٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني ، جـ١- ص ٤٣٦.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلي محمد بن عبد الرحيم المباركفوري - تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية - المدينة المنورة - السعودية -ط٢- ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م- حـ٥- ص.١٦٠

- المسند- للامام أحمد بن حنبل - شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر - بدون تاريخ - ط٣- حـ٢- ص ١١٣، حـ١٢- ص ٢٥ .٢٦، حـ١٤ -ص.٢٠، ٥٣.

(٤٩) الموسوعة - المجلد ٢ - البخاري - حـ٤- ص ١٢.

(٥٠) انظر: فتح الباري -حـ٦- ص١٢٨.

بالرعب بين يدي مسيرة شهر » أو «ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر » ولا إشكال في الجمع بينهما حيث يُحمل المطلق على المقيد .

ولعل السبب في تحديد المدة بالشهر ما ذكره «الحافظ» في الفتح «وظهر لي أن الحكمة في الاقتصار على الشهر أنه لم يكن بينه وبين الممالك الكبار التي حوله أكثر من ذلك، كالشام والعراق واليمن ومصر، ليس بين المدينة النبوية للواحدة منها إلا شهر فما دونه» .[٥١] أي - كما يضيف «ابن حجر» في موضع آخر «إنما جعل الغاية شهرا لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه»[٥٢] والمراد من هذا التحديد - فضلا عما ذكرنا - أن الله سبحانه ينصره بإلقاء الخوف في قلوب أعدائه . مسيرة شهر بينه وبينهم من سائر نواحي المدينة وجميع جهاتها .[٥٣]

أقول : ومعنى ذلك أن نصر الله جل ثناؤه لرسوله صلى الله عليه وسلم يكون مطلقا مهما كانت المسافة بينه وبين عدوه . فتحديد الشهر - كما ذُكر - لم يكن مقصودا به إلا التعبير عن واقع كان موجودا بالفعل و من ثم فإن الواقع لو كان غير ذلك لتغيرت المدة ولو إلى مائة شهر . وربما كان هذا وجها آخر للجمع بين صيغة الأحاديث المطلق منها «ونُصرت بالرعب» والمقيد «نُصرت بالرعب مسيرة

(٥١) فتح الباري - حـ٦- ص ١٢٨.

(٥٢) المرجع نفسه -حـ١-ص٤٣٧.

(٥٣) انظر: الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرح بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني - ترتيب وتأليف أحمد بن عبد الرحمن البنا- دار الشهاب - القاهرة ، مصر، بدون تاريخ - حـ٢- ص ١٨٧.

شهر » فالمطلق يظل على إطلاقه والمقيد على قيده وكل منهما له وجه من التأويل .

رابعا: أن مسألة النصر بالرعب هي من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم ففي حديث «جابر بن عبد الله» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أُعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي» وفي رواية «أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي» وعند «مسلم» من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «فضلت على الأنبياء بست» وفي كل منها النصر بالرعب وهي خصال اختص بها الرسول صلى الله عليه وسلم دون بقية الخلق أو فضائل فضل بها على الأنبياء .

وقد ذكر المحققون أن الخصال التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة قد تصل إلى ستين خصلة وأنه لا تعارض بين الأحاديث حيث تذكر الخمس والست والثلاث من الخصال، فقد يُظن - كما يقول القرطبي - أن هذا تعارض وإنما هذا من توهم أن ذكر الأعداد يدل على الحصر وليس كذلك فإن من قال عندي خمسة دنانير مثلا لا يدل هذا اللفظ على أنه ليس عنده غيرها ويجوز له أن يقول مرة أخرى عندي عشرون ومرة أخرى ثلاثون فإن من عنده ثلاثون صدق عليه أنه عنده عشرين وعشرة فلا تعارض ولا تناقض . ويجوز أن يكون الرب سبحانه وتعالى أعلمه بثلاث ثم بخمس ثم بست. ويعقب «العيني» على ذلك بقوله : حاصل هذا أن التنصيص على الشيء بعدد لا يدل على نفي ما عداه[٥٤] .

(٥٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني إدارة الطباعة المنيرية - بيروت لبنان - بدون تاريخ - ج ٤ - ص ٨ . =

و من لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من أصله [55] لكن هذه الخصال والفضائل التي للرسول صلى الله عليه وسلم لها تفصيل وتدقيق يرد ذكره في الإجابة على السؤال الرابع إن شاء الله .

خامسا: بالنظر إلى الخصال والفضائل التي وردت في أحاديث موضوع الدراسة ، نجد منها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ولازم له لا يشاركه فيها أحد من البشر أو الأنبياء، ومنها ما هو خاص به وتشاركه فيه أمته، ومنها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يتبين من النص هل تشاركه فيه أمته أم لا، وهو مثل ما نحن بصدده في هذه الدراسة وهو «النصر بالرعب» . وتحقيق المسألة سيكون - إن شاء الله - في الإجابة على السؤال الرابع في هذا البحث .

والسؤال الثالث من أسئلة الدراسة هو :

هل تمثل النصر بالرعب في وقائع عملية في حياة المسلمين؟

= ويذكر السندى في حاشيته على سنن النسائي أن العدد من هذه الأحاديث لم يرد به الحصر بل ذكر ما حضره في ذلك الوقت مما منّ الله تعالى به عليه ذكره إعترافا بالنعمة وأداء لشكرها وامتثالا لأمر «وأما بنعمة ربك فحدث» لا افتخارا .

- الموسوعة - المجلد ١٥- سنن النسائي - جـ١- ص ٢١٠.

- ويذكر «السيوطي» أنه أفرد مؤلفا أسماه «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» أورد فيه ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء وما خص به عن الأمة وزادت عدة القسمين على ألف خصيصة.

- المرجع نفسه. وقد طبع الكتاب تحت مسمى " الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، تحقيق : محمد خليل هراس - دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٦٧م . وقبله طبع في حيدر آباد الدكن - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية،

(٥٥) فتح الباري - لابن حجر - ج ١ - ص ٤٣٦ .

نقول نعم لقد تمثل النصر بالرعب في وقائع عملية في حياة المسلمين وذلك كما حكى لنا القرآن وأوردته السنة، أما القرآن فآيات الدراسة من سور «آل عمران» و «الأنفال» و «الأحزاب» و«الحشر» كل منها نزل بمناسبة مخصوصة، وواقعة محددة أنزل الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوب أعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، وأما السنة فتمثل ذلك في خوف «هرقل» عظيم الروم من النبي صلى الله عليه وسلم لمجرد قراءة كتابه إليه، وتفصيل ذلك كما يلي:

١ - الواقعة الأولى:

يقول الله تعالى : {سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين}[٥٦] وهذه الآيات نزلت بمناسبة غزوة «أُحد» يقول «ابن كثير» إن الله بشَّر المسلمين بأنه سيلقى في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال . واستدل بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة في هذا الباب والتي أشرنا إليها سلفا . وأضاف : وروى «العوفي» عن «ابن عباس» في قوله تعالى : «سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب» قال : قذف الله في قلب «أبي سفيان» الرعب فرجع إلى مكة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب»[٥٧]

ويؤكد «القرطبي» ذلك عندما نقل عن «السدى» وغيره أنه لما

---

(٥٦) آل عمران/١٥١.

(٥٧) الحديث رواه ابن أبي حاتم.

- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- دار الأندلس- بيروت - لبنان- بدون تاريخ - حـ٢- ص ١٢٦.

ارتحل «أبو سفيان» والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا ! قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به .[٥٨]

٢- الواقعة الثانية :

يقول الله تعالى : (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) [٥٩]

لم يخالف أحد من المفسرين في أن هذه الآية نزلت في غزوة «بدر» عندما استجاب الله سبحانه دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول :(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) [٦٠]

ثم يتصل سياق الآيات بكلام الله { إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم ..} ويقول «الطبري» في تفسيره لهذه الآية « إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم » أنصركم . «فثبتوا الذين آمنوا» يقول : قوُّوا عزمهم، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين، سأرعب قلوب الذين كفروا بي، أيها المؤمنون، منكم، وأملأها فَرقا حتى ينهزموا عنكم «فاضربوا فوق الأعناق» أي الأعناق أو الرؤوس» .[٦١]

وقال فيها «ابن كثير» وقوله «سألقى في قلوب الذين كفروا

(٥٨) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - حـ٤- ص ٢٣٢.

(٥٩) الأنفال / ١٢١.

(٦٠) الأنفال/ ٩، ١٠.

(٦١) تفسير الطبري - حـ٤- ص ١٦.

الرعب» أي ثبتوا أنتم المؤ منين وقووا أنفسهم على أعدائهم عن أمرى لكم بذلك سألقى الرعب والذلة، والصغار على من خالف أمرى وكذب رسولي «فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» أي اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها .(٦٢)

وأمْر الله للملائكة بتثبيت المؤمنين يحتمل وجهين أحدهما إلقاؤهم إلى المؤ منين بالخاطر والتنبيه أن الله سينصرهم على الكافرين فيكون ذلك سببا لثباتهم وتحزبهم على الكفار . ويحتمل أن يكون التثبيت بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سينصره والمؤمنين فيخبر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين فيدعوهم ذلك إلى الثبات .(٦٣)

ولا شك أن إلقاء الرعب في قلوب الكفار هو من النعم الجليلة وذلك لأن أمير النفس هو القلب فلما بين الله تعالى أنه ربط قلوب المؤمنين بمعنى أنه قواها وأزال الخوف عنها ذكر أنه ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين فكان ذلك من أعظم نعم الله على المؤمنين .(٦٤)

وإمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة في هذه الغزوة (بدر) هو أمر ثابت بالنصوص القرآنية ولكن اختلاف المفسرين كان في قتال هؤلاء الملائكة مع المؤ منين من عدمه . فقد أثبت بعضهم أنهم قاتلوا مع المؤمنين، ورفض صاحب «تفسير المنار» هذا الرأي بشدة قائلا: إن هذا الإمداد أمر روحاني يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنوية فقال : «وما جعله الله إلا بشرى لكم» أي وما جعل الله عز وجل هذا الإمداد إلا بشرى لكم بأنه ينصركم كما

(٦٢) تفسير ابن كثير -جـ٣- ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٦٣) أحكام القرآن - لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص - تحقيق محمد الصادق قمحاوي - دار المصحف بالقاهرة - بدون تاريخ - حـ٤- ص ٢٢٥.

(٦٤) مفاتيح الغيب - للرازي - حـ١٥- ص ١٠٩.

وعدكم «ولتطمئن به قلوبكم» تسكن بعد ذلك الزلزال والخوف الذي عرض لكم في جملتكم فكان من مجادلتكم للرسول في أمر القتال ما كان فتلقون أعداءكم ثابتين موقنين بالنصر، فظاهر نص القرآن أن إنزال الملائكة وإمداد المسلمين بهم فائدته معنوية وأنهم لم يكونوا محاربين وهناك روايات أخرى في أنهم قاتلوا وهي روايات ضعيفة لم يعبأ الامام «ابن جرير» بشيء منها .[65]

ويتابع رده على تلك الروايات : وما أدرى أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التي يردّها العقل، ولا يثبتها ماله قيمة من النقل ثم يقول : كفانا الله شر هذه الروايات الباطلة التي شوهت التفسير وقلبت الحقائق حتى إنها خالفت نص القرآن نفسه .[66]

أردت بهذا الاستطراد أن أقول إنه رغم أوامر الله الواضحة للمؤ منين بالأخذ بالأسباب في كافة أمورهم ، وإعداد العدة للقتال إلا أن أقدار الله سبحانه إذ أرادها لا تحتاج لمثل هذه الأسباب لأنه سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب والمسببات، والعلل والمعلولات، وقد أجرى أقداره على هذه الأشكال المعجزة على يد أنبيائه ولنصرة رسله، ومنها النصر بالرعب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في مواضع وحوادث معينة كما ذكرنا، فقد أمد الله سبحانه رسوله وأصحابه بقوى روحية ومعنوية فائقة شدت من أزرهم، وأزالت خوفهم وذلك إلهاما من الملائكة يُلْقَى في قلوبهم بأمر الله لا قتالا منهم، وألقى الرعب والفزع في قلوب الكافرين وذلك وسوسة من الشيطان فكان النصر بإذن الله للمؤمنين رغم أن الأسباب المادية لا توحي بتلك النتيجة حيث عدد

---

(٦٥) تفسير المنار -جـ٩- ص٦٠٨ ، ٦١٣.

(٦٦) المصدر نفسه – ص ٦١٣، ٦١٤.

المسلمين ثلث عدد الكافرين تقريبا، وعدتهم وعتادهم لا يذكر بجانب عدة وعتاد الكافرين ولكنها إرادة الله وقدره؛ إلا أن هذه الإرادة وتلك الأقدار مشروطة هذه الأيام بشروط معينة، و مواصفات للمؤ منين الذين يستحقون نصر الله سبحانه لأننا نعرف أن زمن المعجزات ولّى، وخَتم الله بنبينا (عليه الصلاة والسلام) الأنبياء وهذه الشروط ستكون محل دراسة في الإجابة على السؤال الخامس من هذا البحث .

٣- الواقعة الثالثة :

يقول الله تعالى : {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤ منين القتال وكان الله قويا عزيزا، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا، وأورثكم أرضهم وديارهم وأ موالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا}[٦٧]

تحكى هذه الآيات بعض أحداث غزوة «الأحزاب» وقد سميت السورة باسمها، ويذكر «الطبري» في تفسيرها «ورد الله الذين كفروا» به وبرسوله من قريش وغطفان «بغيظهم» أي بكر بهم وغمهم، بفوتهم ما أملوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة، «لم ينالوا خيرا» أي لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا «وكفى الله المؤ منين القتال» بجنود من الملائكة والريح بعثها عليهم «وكان الله قويا عزيزا» «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا» أي وأنزل الذين أعانوا الأحزاب من «قريش وغطفان» على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذلك من مظاهرتهم إياهم ، وعنى بذلك «بني

(٦٧) الأحزاب ٢٥:٢٧.

قريظة » وهم الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يهود . « من صياصيهم » أي حصونهم . « وقذف في قلوبهم الرعب » أي القى في قلوبهم الخوف منكم فتقتلون منهم جماعة وتأسرون منهم جماعة وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا .[٦٨]

وقد علقنا من قبل على تفسير « الإمام الطبري » للقذف بأنه إلقاء الخوف بأنه لا يُعبر عن حقيقة القذف حسب علمي لأن القذف هو الإلقاء بشدة وإلا لما كان هناك ضرورة لتغاير الأسلوب القرآني مرة بالإلقاء ومرة بالقذف .

وسائر الرواة على أن الذين ظاهروا الأحزاب هم « بنو قريظة » إلا « الحسن » حيث قال هم « بنو النضير » وظاهر الآية يدل على أنهم « بنو قريظة » لأنه تعالى قال « فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ولم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم « بني النضير وإنما أجلاهم عن بلادهم »[٦٩]

ويذكر « الرازي » في تأويلها وأنزل الذين عاونوهم من أهل الكتاب من صياصهم من قلاعهم وقذف في قلوبهم الرعب حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبى فريقا تقتلون وهم الرجال، وتأسرون فريقا وهم الصبيان والنسوان .[٧٠]

« والقرطبي » يقول في قوله تعالى : [وكفى الله المؤ منين القتال] بأن أرسل عليهم ريحا و جنودا حتى رجعوا ورجعت بنو قريظة إلى صياصيهم ؛ فكفى أمر قريظة بالرعب وكان الله قويا » أمره « عزيزا » لا يُغلب .[٧١]

---

(٦٨) تفسير الطبري - حـ٦ - ص ١٧٢ ، ١٧٣.

(٦٩) أحكام القرآن - الجصاص - حـ٥ - ص ٢٢٥- .

(٧٠) مفاتيح الغيب - حـ٢٥- ص ١٧٧.

(٧١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي- حـ١٤- ص ١٦٠.

الواقعة الرابعة :

يقول الله تعالى : {سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار}[٧٢] .

جمهور المفسرين على أن هذه الآيات نزلت في يهود «بني النضير» ، وعندما سئل ابن عباس (رضي الله عنه) عن سورة «الحشر» التي نزلت فيها هذه الآيات قال : أنزلت في «بني النضير» . وفي رواية قال : «سورة بني النضير» .[٧٣] وقصتهم أن «بني النضير» صالحوا رسول الله ص على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر يوم «بدر» قالوا هو النبي المنعوت بالتوراة بالنصر، فلما هزم المسلمون يوم «أحد» ارتابوا ونكثوا، فخرج «كعب بن الأشرف» في أربعين راكبا إلى مكة وحالفوا «أبا سفيان» عند الكعبة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم «محمد بن مسلمة الأنصاري»، فقتل «كعبا» غيلة، وكان أخاه من الرضاعة، ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب، فقال لهم اخرجوا من المدينة، فقالوا الموت أحب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب، وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ليتجهزوا للخروج، فبعث إليهم «عبد الله بن أبي » وقال لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم، ولئن خرجتم لنخرجن معكم فحصنوا الأزقة، فحاصرهم إحدى

---

(٧٢) الحشر/ ١ ، ٢.

(٧٣) تفسير ابن كثير - جـ ٦- ص ٥٩٣ .

وعشرين ليلة، فلما قذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح، فأبى إلا الجلاء، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم، فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات إلا أهل بيتين منهم «آل أبي حقيق، وآل حيي بن أخطب» ، فأنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة .[٧٤]

والآيات تدل على أن المسلمين كانوا في شك من قدرتهم على إخراجهم لعزتهم وقوتهم، واليهود ظنوا أن حصونهم تمنعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظم القرآن عندما قدم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى : {أنهم مانعتهم حصونهم من الله} دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسما، وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالون بأحد يطمع في منازعتهم، وهذه المعاني لا تحصل في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم . «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا» ومعنى لم يحتسبوا أي لم يظنوا ولم يخطر ببالهم، وذلك بسبب أمرين، أحدهما: قتل رئيسهم «كعب بن الأشرف» على يد أخيه غيلة، وذلك مما أضعف قوتهم، وفت عضدهم، وفل من شوكتهم ، والثاني: بما قذف في قلوبهم من الرعب .[٧٥]

اقوال المفسرين في رعب بني النضير:

ويذكر المفسرون في قوله تعالى : «وقذف في قلوبهم الرعب» من سورة الحشر ما يأتي :

- ابن كثير: أي الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله

---

(٧٤) مفاتيح الغيب - للرازي - حـ٢٩- ص ٢٤٢.

- يلاحظ أن مدة حصار «بني النضير» فيها خلاف .

(٧٥) المصدر نفسه - ص ٢٤٣.

وسلامه عليه .[٧٦]

- والقرطبي : بقتل سيدهم «كعب بن الأشرف» . وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «نُصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر» فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة إلى محلة بن النضير .[٧٧]
- القاسمي : أي أنزله إنزالا شديدا فيها، لدلالة مادة (القذف) عليه كأنه مقذوف الحجارة .[٧٨]

٥- الواقعة الخامسة :

وهي من السنة حيث أخرج البخاري في كتاب بدء الوحي عن «أبي اليمان الحكم بن نافع» بإسناده من حديث «أبي سفيان بن حرب» وفيه أن «هرقل» أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش (أي مدة صلح الحديبية) فآتوه وهم «بإيلياء»، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه . وأخذ يسأل «أبا سفيان» عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وخصاله قبل الإسلام ومنه : «ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة» وعلق هرقل على ما سمع : «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميَّ هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه» . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دِحْيةُ إلى عظيم بُصرى، فدفعه إلى «هرقل» فقرأه . وموضع الشاهد في هذه القصة هو أنه بعد قراءة كتاب

(٧٦) تفسير ابن كثير - حـ ٦- ص٥٩٧.

(٧٧) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - حـ١٨-ص٣.

(٧٨) تفسير القاسمي -حـ١٦-ص٩٥.

النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان : فلما قال ما قال: (أي هرقل) وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأخرجنا . فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر . فمازلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام . والمعنى لقد عظُم أمر النبي صلى الله عليه وسلم (نسبه إلى أحد أجداده من قبل أمه أو إلى أبيه من الرضاعة وقيل غير ذلك) وأنه يخافه ملك الروم .(٧٩)

وقد أورد البخاري طرف الحديث في كتاب الجهاد . لمناسبة قول أبي سفيان «إنه يخافه ملك بني الأصفر» للباب .(٨٠)

أقول : أي أن الخوف تملك «هرقل» من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ولقد زاد «عبد الله بن شداد» عن أبي سفيان في وصف «هرقل» عند قراءة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم «ولقد رأيت جبهته تتحادر عرقا من كرب الصحيفة» بل إن الرعب تملك أيضا «أبا سفيان» ففي رواية «ابن شداد» هذا عنه «فما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت» .(٨١)

والآن نأتي للإجابة على السؤال الرابع وهو **هل النصر بالرعب خصوصية من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم أم له ولأمته من بعده ؟**

إن الأحاديث التي وردت في موضوع النصر بالرعب يوضح صدر هذه الأحاديث أن النصر بالرعب وبقية الأمور التي وردت

(٧٩) فتح الباري بشرح البخاري - لابن حجر - حـ١- ص٣١ وما بعدها.

- وانظر الحديث أيضاً في صحيح مسلم بشرح النووي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- بدون تاريخ - حـ١٢- ص ١٠٨ وما بعدها.

(٨٠) فتح الباري - حـ٦ - ص ١٢٨.

(٨١) الحديث أخرجه الطبراني.

- المرجع نفسه -حـ١ - ص ٣٧، ٤٠.

فيها هي خصال أو خصائص أو فضائل اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم دون بقية الخلق أو الأنبياء، ففي حديث جابر الذي أخرجه البخاري بسنده وأشرنا إليه قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(٨٢)

وفي حديث «أبي هريرة» الذي أخرجه البخاري بسنده وأشرنا إليه أيضا وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بُعثت بجوامع الكلِم ونُصرت بالرعب . . الخ»(٨٣)

والمتأمل في هذه الخصال أو الفضائل يمكن أن يقسمها إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول منها ما هو لازم للنبي صلى الله عليه وسلم لا يتعداه إلى غيره من أمته مثل «وأعطيت الشفاعة» ونحوه «بعثت بجوامع الكلم» وسواء كان المقصود بجوامع الكلم القرآن أو القول الموجز القليل اللفظ من كلامه صلى الله عليه وسلم الكثير المعاني . فهي خصلة خاصة به عليه السلام . ومثل هذه الخصال والفضائل يظهر واضحا جليا في رواية «البزار» من حديث أبي هريرة مرفوعا وفيه «فضلت على الأنبياء بست : غُفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه»(٨٤) ومثل هذه الفضائل

---

(٨٢) سبق تخريجه في هامش ٣٨.

(٨٣) سبق تخريجه في هامش ٣٩.

(٨٤) فتح الباري لابن حجر - حـ١- ص ٤٣٩.

لاجدال في أنها من الأمور التي اختص بها وحده لا ينازعه فيها أحد .

والقسم الثاني من هذه الخصال والفضائل هي متعدية بطبيعتها إلى أمته صرَّح الحديث بذلك أم لم يصرح مثلما ورد في حديث جابر (رضي الله عنه) المذكور «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» وواضح أن الخصلة الأولى وهي «طهور الأرض» هي للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته وقد صرح الحديث بذلك، وكذلك الخصلة الثانية وهي حل الغنائم نجد أنها للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده حتى ولو لم يصرح الحديث بذلك . هذا ما فهمه العلماء وجرى العمل عليه أيام النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده .

والقسم الثالث من هذه الخصال والفضائل ورد ذكره في الأحاديث حاملا للمعنيين فهي خصال وفضائل للنبي صلى الله عليه وسلم بلا شك أو جدال ولكنها يمكن أن تكون لأمته بتأويل وتفسير ولذلك اختلفوا فيها ولم يقطعوا بذلك . وأبرز مثال لذلك «ونصرت بالرعب» أو «ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر» فيقول «القرطبي» تعليقا على هذه العبارة الأخيرة: وهذه خصِّيصَي لمحمد صلى الله عليه وسلم دون غيره .[85] وأما «العيني» فيقول فيها : ونصْر الله تعالى إياه بالرعب مما خصه الله به وفضله ولم يؤته أحدا غيره .[86]

ويقول «الحافظ» فيها: فالظاهر اختصاصه به مطلقا . ويضيف : وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان

---

(٨٥) الجامع لأحكام القرآ - القرطبي- حـ١٨- ص ٣.

(٨٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للعيني- حـ١٤- ص ٢٣٥.

وحده بغير عسكر . ويسأل الحافظ نفسه سؤالا هو محل الكلام ومربط الفرس كما يقولون : وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ يجيب : فيه احتمال .[87]

تحقيق القضية والترجيح :

إذن هذه الخصوصية - كما عرضنا - هي للنبي صلى الله عليه وسلم فقط وهذا مؤكد من أقوال المفسرين والمحدثين وأما أنها لأمته من بعده ففيها احتمال . كما قال الحافظ . غير أنه لتحقيق هذه القضية يلزم استعراض حديثين أحدهما «للدارمي» والآخر «للإمام أحمد» .

اولاً: حديث «الدارمي»

لقد وجدت في سنن «الدارمي» نص حديث : أخبرنا يحيى بن حسان ثنا هشيم ثنا سيار قال سمعت يزيد الفقير يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة، وأحلت لي الغنائم وحرمت على من كان قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة مسجدا وطهورا، ويَرعَبُ منا عدونا مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة» ويضيف محققه «السيد المدني» على الحديث قائلاً : رواه أيضا : أحمد والشيخان والنسائي .[88]

والواقع أن حديث «جابر» رضي الله عنه قد رواه هؤلاء فعلا ولكن بألفاظ مختلفة وإسناد مختلف . والأهم أن عبارة الدراسة جاءت في هذا الحديث «ويرعب منا عدونا مسيرة شهر» أي بلفظ الجمع وهذه الصيغة لم أرها في أي رواية للحديث عند المحدثين

---

(٨٧) فتح الباري -حـ١- ص ٤٣٧.

(٨٨) الموسوعة - مجلد ١٩- سنن الدارمي - حـ١- ص ٢٦٣.

الذين ذكرتهم ومن ثم فليس لها تأويل عندي غير أن يكون مقصودها أن هذا الرعب له عليه الصلاة والسلام ولأمته أيضا، ونلاحظ أن الضمير في بقية الخصال والخصائص الواردة في الحديث هي بضمير المفرد الذي يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا في هذه الخصلة فجاءت بضمير الجمع في كلمتين مما يؤكد أنها ليست تصحيفا مثلا وإنما يفهم منها أن الرعب هو للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته ويؤكد هذا الفهم أن «الدارمي» أخرج في مسنده حديثا آخر عن «يحيى بن حماد» بسنده من حديث «أبي ذر» عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه «ونُصرت بالرعب شهرا، يرعب مني العدو مسيرة شهر» [(٨٩)] فالضمير فيه مفرد كما هو واضح وهذا يعني أن الحديث روي بأكثر من رواية أكثرها كان الرعب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم وتلك الرواية التي ذكرناها الرعب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته ولا تعارض بين الروايتين كما أرى .

ثانيا: حديث «الإمام أحمد»:

ولقد عثرت أيضا على حديث في مسند «الإمام أحمد» أخرجه بسنده من حديث «حذيفة بن اليمان» عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأوردته بطوله في أدلة النصر بالرعب في السنة وفيه «وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا» [(٩٠)] والحديث حسن كما ذكر الهيثمي وأثبتنا ذلك من قبل، وهو صريح بأن العز والنصر والرعب يسير ويسعى أمام أمته صلى الله عليه وسلم شهرا . وهذه العبارة لم أجدها في أي رواية أخرى للحديث وهذا يعزز ما قلناه من قبل في حديث «الدارمي» من أنه يمكننا

(٨٩) الموسوعة - المجلد ١٩- سنن الدارمي - حـ٢- ص ٥٤٠، ٥٤١.

(٩٠) سبق تخريج الحديث في هامش ٤٧.

الجمع بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى الواردة بصيغة المفرد للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تعارض بين الأمرين .

وبهذا يمكننا أن نقول إن النصر بالرعب هو أمر مؤكد للنبي ص، ومؤكد أيضا لأمته سواء في حياته أو من بعده ولا أدري هل الحافظ ابن حجر عندما لم يحسم الأمر بأن النصر بالرعب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أيضا وقال : فيه احتمال . فربما لم يصله أي من هذين الحديثين المذكورين والله أعلم .

والسؤال الخامس هو : **ما هي شروط النصر بالرعب للمسلمين؟**

أثبتنا فيما سبق أن النصر بالرعب هي خصلة للنبي صلى الله عليه وسلم وأيضا هي خصلة لأمته يتميز بها كل منهما النبي صلى الله عليه وسلم عن بقية الأنبياء فضلا عن بقية الخلق، وأمته عن بقية الأمم، غير أن هناك فرقا بين نصر الله لنبيه ونصره لأمته، فنصره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالرعب هو نصر مطلق أي خال من أي قيد أو شرط فهي «خصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر .»[91] يقذفه الله في قلوب الأعداء بلا أسباب ظاهرية وآلات عادية له بل بضدها فإنه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يربط الحجر ببطنه من الجوع ولا يوقد النار في بيوته ومع هذه الحال كان الكفرة مع ما عندهم من المتاع والآلات والأسباب في خوف شديد من بأسه صلى الله عليه وسلم .[92] وأما نصرته لأمته بالرعب هو مشروط بشروط وقيود إذا تحققت هذه الشروط تحقق المشروط وإلا فلا، وبمعنى آخر هذا النصر لأمة الإسلام هو خاضع للسنن الإلهية الكونية التي عرَّفها لنا ووضحها في كتابه وسنة رسوله وليس داخلا في باب الخوارق

(٩١) فتح الباري - لابن حجر - حـ١- ص ٤٣٧.

(٩٢) الموسوعة - المجلد ١٥- سنن النسائي - حاشية السندي - حـ١- ص ٢١٠.

والمعجزات كما هو عند النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه الشروط موضحة بآيات النصر بالرعب المذكورة بكتاب الله جل جلاله وهي بدهية يعرفها كل مسلم ومن أوليات الإيمان وهي طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم . فعندما يقول الله تعالى : {سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين}[٩٣] يفسرها «الطبري » بقوله : «وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم والفلج (أي الظفر والفوز) عليهم، ما استقاموا على عهده ، وتمسكوا بطاعته» .[٩٤]

ويقول «السندي» في حاشيته على «النسائي» بعد أن يوضح خاصية النصر بالرعب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول «وقد بقى آثار هذه الخاصية في خلفاء أمته ماداموا على حاله والله تعالى أعلم .[٩٥]

ولذلك قال العلماء في كثير من وعود الكتاب والسنة المطلقة بالجزاء على بعض الأعمال بأنه مقيد بما تدل عليه النصوص الأخرى من الإيمان الصحيح وإجتناب الكبار، ومن ذلك أن الوعد المطلق بالنصر للرسل والمؤمنين في عدة أيات مقيد بما اشترط له في آيات أخرى مثال الأول قوله تعالى : {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}[٩٦] وقوله تعالى: {وكان حقا علينا نصر المؤمنين}[٩٧] ومثال الثاني قوله تعالى :

---

(٩٣) آل عمران/ ١٥١.

(٩٤) تفسير الطبري - حـ٢- ص ٣٤٤.

(٩٥) الموسوعة - المجلد ١٥- سنن النسائي - حاشية السندي - حـ١- ص ٢١١.

(٩٦) غافر/ ٥١.

(٩٧) الروم/ ٤٧.

{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} [٩٨] وقوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} [٩٩] ويضيف صاحب «تفسير المنار» بأنه سبق بيان هذا المعنى في التفسير وإقامة الحجة على المسلمين الجاهلين المغرورين والخرافيين الذين يتكلون في أمورهم على الصلحاء الميتين في قضاء حوائجهم بخوارق العادات، وتبديل سنن الله في الأسباب والمسببات، حتى كأن قبورهم معامل للكرامات، يتهافت عليها الأفراد والجماعات، يدعون أصحابها خاشعين ، مالا يدعو به الموحدون إلا الله رب العالمين .[١٠٠]

إذن فنصر الله تعالى للمؤمنين مرتبط بشروطه ولذلك قيل في تفسير قوله تعالى : {قل إن الأمر كله لله}[١٠١] أي أن كل أمر يجري بحسب سننه تعالى في خلقه ونظامه الذي ربط فيه الأسباب بالمسببات ومنه نصر من ينصره من المؤمنين .[١٠٢]

إظهار سنن الله في غزوة أحد :

وقد أراد الله سبحانه أن يظهر لنا سننه في النصر في الحروب وذلك في غزوة «أحد» عبرة وعظة واختبارا، وذلك عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرماة بالثبات في أماكنهم في كل الأحوال ومهما كان الأمر، ودارت المعركة وكان الثبات والطاعة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فلاحت تباشير النصر، وولى المشركون عندها طلب أكثر الرماة الغنائم مع إخوانهم، فتركوا أماكنهم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكرَّ المشركون

(٩٨) الحج/ ٤٠ .

(٩٩) محمد/٧.

(١٠٠) تفسير المنار - حـ٩- ص ٦٠٦.

(١٠١) آل عمران/ من الآية ١٥٤.

(١٠٢) تفسير المنار - حـ٤- ص ١٨٧.

عليهم فهُزِم المسلمون على ما هو معروف في السير والمغازي .

ويعبِّر «صاحب المنار» عما نريده في تفسير قوله تعالى : {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين}[103]

وحاصل المعني أنه بعد أن صدقكم وعده فكنتم تقتلونهم بإذنه ومعونته قتل حس واستئصال صرفكم عنهم بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم وحال بينكم وبين تمام النصر ليمتحنكم بذلك أو لأجل أن يكون ذلك ابتلاءً واختبارا لكم لكي يمحصكم به، ويميز بين الصادقين والمنافقين ويزيِّل بين الأقوياء والضعفاء .[104]

وبعبارة أخرى إن الله صدقكم وعده ونصركم على قلتكم وكثرة المشركين واستمر هذا النصر إلى أن فشلتم وتنازعتم وعصيتم فعندما وصلتم إلى هذه الغاية لم تعودوا مستحقين لهذه العناية، لمخالفتكم لسننه في استحقاق النصر الذي وعد به أهل الثبات والصبر .[105]

ومعنى الكلام عند «الرازي» في هذه الآية أنه تعالى لما وعدكم النصر بشرط التقوى والصبر على الطاعة ، فما دمتم وافين بهذا الشرط أنجز وعده ونصركم على أعدائكم، فلما تركتم الشرط وعصيتم أمر ربكم لاجرم زالت تلك النصرة .[106]

والإمام «الرازي» هنا يربط بين هذه الآية محل الكلام (١٥٢ من

(١٠٣) آل عمران/١٥٢.

(١٠٤) تفسير المنار -حـ٤- ص ١٨٣.

(١٠٥) المرجع نفسه.

- أنظر أيضاً: تفسير القاسمي - حـ٤- ص ٢٥٠.

(١٠٦) مفاتيح الغيب - للرازي - حـ٩- ص ٢٩.

آل عمران) وبين قوله تعالى في السورة نفسها : {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين}[١٠٧] فكأن الصبر والتقوى هما من أهم سنن الله تعالى للنصر، وإن كنت أرى أن التقوى جامعة لكافة عناصر الإيمان وبالتالي الصبر، وربما خص الله سبحانه الصبر لأهمية هذا العنصر في القتال فذِكْره مع التقوى هو ذكر أهمية وبيان . «فإنه لما وعدهم بالنصرة بشرط أن يتقوا ويصبروا فحين أتوا بذلك الشرط لا جرم وفىَّ الله تعالى بالمشروط وأعطاهم النصرة، فلما تركوا الشرط لاجرم فاتهم المشروط .»[١٠٨]

والسؤال السادس والأخير هو : **هل نصر الله للمسلمين بالرعب، خاص بزمن معين أو واقعة معينة وبأقوام معينين، أم أنه عام في كافة الأزمان والأقوام؟**

والسؤال بهذه الصيغة له شقان، شق خاص بالمسلمين وشق خاص بالكفار والمشركين . وأما الشق الأول فقد أثبتنا أن نصر الله للمسلمين بالرعب ثابت بالنصوص لهم كما هو ثابت لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كان النصر بالرعب مطلقاً بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه بالنسبة للمسلمين هو مقيد بشروط تتمثل في طاعة الله، والاستقامة على أمره والانتهاء عن نهيه، وكذلك طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والالتزام بأوامره ونواهيه باعتباره مبلغا عن ربه . وهذه سنة - كما ذكرنا- من سنن الله تعالى الكونية لن تجد لها تغييرا ولا تحويلا . فالمسلمون حالهم دائماً وأبداً في كل زمان هو النصر بالرعب ينزله الله جل ثناؤه في قلوب أعدائهم منهم وذلك

---

(١٠٧) آل عمران / ١٢٥.

(١٠٨) مفاتيح الغيب - جـ٤ - ص ٢٩.

مشروط بما قدمنا من الطاعة لله والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا تقرر هذا فإن مقتضى الحال أن يرعَب أعداء المسلمين منهم كفارا كانوا أو مشركين، يقذفه أو يلقيه الله في قلوبهم كما هو ثابت بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة .

وإذا كنا قد محصنا وفصَّلنا في الشق الأول فإن الشق الثاني الخاص بأعداء المسلمين يحتاج إلى بيان وتدليل كما فعلنا في الشق الأول .

إن الذي يثير الكلام حول هذا الشق هو تأويل المفسرين للآية الكريمة «سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين» .[109] فيقول «القرطبي» في قوله تعالى «بما أشركوا بالله» تعليل، أي كان سبب إلقاء الرعب في قلوبهم إشراكهم؛ فما للمصدر. ويقال: أشرك به أي عدل به غيره ليجعله شريكا. ويقول في قوله تعالى «مالم ينزل به سلطانا» حجة وبيانا، وعذرا وبرهانا. ومعنى هذا أنه لم تثبت عبادة الأوثان في شيء من الملل، ولم يدلّ عقل على جواز ذلك.[110] ولم يتعرض «القرطبي» يرحمه الله لخصوصية أو عمومية هذا السبب الذي هو الشرك في وقوع الرعب بل أثبت أن الرعب كان بسبب الشرك. بينما نجد بعض المفسرين «كالرازي» يتعرض بتفصيل لهذه المسألة . فقال: اختلفوا في أن هذا الوعد (أي إلقاء الرعب في قلوب الكفار) هل هو مختص بيوم «أحد» أو هو عام في جميع الأوقات؟ قال كثير من المفسرين : إنه مختص بهذا اليوم . والقول الثاني : أن هذا الوعد غير مختص بيوم «أُحد» بل هو عام . قال «القفال» رحمه

(١٠٩) آل عمران / ١٥١.

(١١٠) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - حـ٤- ص ٢٣٣.

الله : كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم «أُحد» إلا أن الله تعالى سيلقى الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان، وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهرا لجميع الأديان والملل، ونظير هذه الآية قوله عليه السلام «نصرت بالرعب مسيرة شهر».(١١١)

وظاهر قوله «سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب» - كما يضيف «الرازي»- يقتضي الرعب في جميع الكفار، فذهب بعض العلماء إلى إجراء هذا العموم على ظاهره، لأنه لا أحد يخالف دين الإسلام إلا وفي قلبه ضرب من الرعب من المسلمين، إما في الحرب، وإما عند المحاجة .(١١٢)

الشرك بالله يوجب الرعب:

هذه حقيقة يؤكدها كثير من المفسرين عند تأويلهم لآية الدراسة في قوله تعالى : {سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله...} .

- الرازي : والمعنى بسبب إشراكهم بالله. فثبت أن الإشراك بالله يوجب الرعب.(١١٣)
- القاسمي: أفادت الآية أن ذلك الرعب بسبب مافي قلوبهم من الشرك بالله، وعلى قدر الشرك يكون الرعب. قال «القاشاني» جعل إلقاء الرعب في قلوب الكفار مسببا عن شركهم لأن الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات في قوى النفس لتنورها بنور التوحيد، فلا تكون تامة إلا للموحد الموقن في توحيده . وأما المشرك فلأنه محجوب عن منبع القدرة بما أشرك بالله من

(١١١) مفاتيح الغيب - الرازي - حـ٩- ص ٢٧.

(١١٢) المصدر نفسه.

(١١٣) المصدر نفسه ص ٢٨.

الموجود المشوب بالعدم الذي لم يكن له بحسب نفسه قوة، ولم ينزل الله بوجوده حجة، فليس له إلا العجز والجبن وجميع الرذائل .[114]

- رشيد رضا: وبيانه أنه سيحكِّم في أعدائهم المشركين سنته العادلة. وهي أنه يلقى في قلوبهم الرعب بسبب إشراكهم بالله. ويضيف : فالإشراك قد يكون سببا طبيعيا لوقوع الرعب في القلب وما كان كذلك فإن الله يسنده إلى نفسه وإن لم يذكر السبب. لأنه هو واضع الأسباب والسنن. ولكنه قد صرح به هنا ليكون برهانا على بطلان الشرك وسوء أثره .[115]

رعب المشركين مرتبط بإيمان المؤمنين :

وعندما تعرض الإمام «محمد عبده» لتفسير هذه الآية قال : في الآية وجهان :

أحدهما : أن إلقاء الرعب خاص بتلك الواقعة (يقصد واقعة «أحد») . وعليه كثير من المفسرين .

(والوجه الثاني) أن الآية بيان لسنة إلهية عامة وهو الحق. وبيانه يتوقف على فهم المعنى المراد من لفظ «المؤمنين» ولفظ «الكافرين» وهو ما كان عليه المؤمنون والكافرون في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآيات. فالمؤمنون صادقون في إيمانهم وأعمالهم، والكافرون معاندون مكابرون للحق . فشأن الكافرين مع المؤمنين كشأن من يرى نور الحق مع خصمه فيحمله البغي والعدوان على مجاحدته من غير حجة ولا دليل : يرتاب فيما هو فيه ويتزلزل فإذا شاهد الذين دعوه ثابتين مطمئنين يعظم ارتيابه ويهاب خصمه حتى يمتلىء قلبه رعبا منهم . هذا هو شأن الكافرين المعاندين . مع

---

(١١٤) تفسير القاسمي - حـ٤ - ص ٢٤٩.

(١١٥) تفسير المنار - حـ٤- ص ١٧٨.

المؤمنين الصادقين . كأنه تعالى يقول : هذه هي الطبيعة في المشركين : إذا قاوموا المؤمنين. فلا تخافوهم ولا تبالوا بقول من يدعوكم إلى موالاتهم والالتجاء اليهم.[116]

قال الإمام مضيفا ودافعا لشبهة من يقول: مابالنا نجد الرعب كثيرا ما يقع في قلوب المسلمين ولا يقع في قلوب الكافرين. فإن الذين يسمون أنفسهم مسلمين قد يكونون على غير ما كان عليه أولئك الذين خوطبوا بهذا الوعد من قوة اليقين والإذعان والثبات والصبر وبذل النفس والمال في سبيل الله وتمنى الموت في الدفاع عن الحق. فمعنى المؤمنين غير متحقق فيهم وإنما رعب المشركين مرتبط بإيمان المؤمنين وما يكون له من الآثار. فحال المسلمين اليوم لا يقوم حجة على القرآن لأن أكثرهم قد انصرفوا عن الاجتماع على ما جاء به الإسلام من الحق وما كان عليه سلفهم من الإيمان والصفات والأعمال فالقرآن باق على وعده ولكن هات لنا المؤمنين الذين ينطبق إيمانهم على آياته ولك من إنجاز وعده في هذه الآية وغيرها ما تشاء وتلا قوله تعالى :{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم} الآية[117] وعلى هذا يكون الإشراك سببا للرعب كسائر الأسباب العادية التي ربط الله بها المسببات كالشرب للري والأكل للشبع. فمن وصل إليه الحق تزلزل الباطل في نفسه لا محاله. ومن تمام التشبيه – كما يقول الشيخ رشيد رضا – أن تكون بعض الوقائع التي لا يقع فيها الرعب في قلوب

---

(١١٦) انظر: تفسير المنار – حـ٤– ص ١٧٩.

(١١٧) النور/ ٥٥.

المشركين . كالوقائع التي يشرب فيها المرء ولا يروى لعارض مرضي فسنن الاجتماع كسنن الأجسام الطبيعية لها عوارض وشروط وموانع.[118]

أقول : والحقيقة أن أمراض المسلمين اليوم، أفرادا وجماعات كثيرة قد فاقت الحد، ولا نعني بها أمراض الأجسام والأبدان وإن كان هذا كثيراً أيضا، وإنما نعني أمراض القلوب والنفوس، وخاصة الأمراض العقدية مثل تشريع المجتمعات الإسلامية لنفسها من دون الله في شكل قوانين وضعية، أو صرفها أنواعا من العبادة لغير الله مثل الدعاء والاستغاثة والمدد والنذر لغير الله، وادعاء بعضهم النبوة وهذا كله يصل بالإنسان إلى حد الشرك الأصغر أو الأكبر. وأيضا الأمراض السياسية مثل تقليد الغرب أو الشرق في نظم الحكم والإدارة وكلا المذهبين يتنافي مع الإسلام. وأيضا الأمراض الاقتصادية مثل حل الربا والغرر والتضخم وقلة الإنتاج، والعنت في الحصول على متطلبات الحياة. وأيضا الأمراض الإجتماعية مثل انفصام الروابط الأسرية، والجرائم بكافة أشكالها وبعد برامج التعليم عن الدين، وهبوط الإعلام بكافة أنواعه إلخ[119] وهذه الأمراض وغيرها كثير، أضلت المسلمين، وأبعدتهم عن طاعة ربهم، وطاعة نبيهم، مما سلب الرعب بلّه الاعتبار من قلوب أعدائهم منهم فصاروا ينظرون إليهم من عُلوٍّ وغرور على أنهم أمم لا وزن لها ولا اعتبار . ومن أجل هذا حاولنا

(١١٨) تفسير المنار - حـ٤- ص ١٧٩، ١٨٠.

(١١٩) راجع تفاصيل هذه الأمراض في كتاب - حتى لا تظل الشريعة نصا شكليا-للدكتور علي حسنين الزهراء للإعلام العربي- القاهرة ط١- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م - ص ٢٦:٢٨.

أن نذكّر ونبشر بمثل هذا البحث وبغيره بعناصر القوة والنصر التي وهبها الله لهذه الأمة واختصها بها دون بقية الأمم ما استقامت على أمره، وظلت على طاعته، وتمسكت بهديه فإن حدث هذا يوفّى لها الله سبحانه بوعده .

الخاتمة والنتائج :

ويمكن أن نخرج من هذا البحث بالنتائج والأحكام الآتية:

أولاً: إن النصر بالرعب للمسلمين على أعدائهم أمر ثابت بنصوص الكتاب المحكمة الصريحة، وبنصوص السنة الواضحة الصحيحة .

ثانيا: إن النصر بالرعب هو خصلة اختص الله سبحانه بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم دون بقية خلقه، وفضيلة رفعه بها على كافة أنبيائه، وهي خصلة لأمته من بعده أيضا اصطفاءً لها على بقية الأمم .

ثالثا: إن النصر بالرعب خصلة مطلقة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مقيدة بالنسبة لأمته بما تقتضيه سنن الله تعالى في كونه من ضرورة استيفاء الشروط المطلوبة والمتمثلة إجمالا في طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاستقامة على نهج الإسلام وبذلك يتحقق المشروط والعكس بالعكس.

رابعا: قد يُعترض - كما ذكر العيني - أن كثيرا من الناس يخافون من الملوك من مسافة شهر. قيل ردا على هذا: هذا ليس بمجرد الخوف بل بالنصرة والظفر بالعدو [١٢٠]

(١٢٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - حـ١١٤- ص ٢٣٥.

فليس المراد بالخصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم مجرد حصول الرعب بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدو.[121] أي أن خصوصية النصر بالرعب للنبي صلى الله عليه وسلم ليست مقصورة على الخوف بل والانتصار على العدو والنيل منه. وبناءً على هذا أخذ بعضهم حكما مؤداه «ولهذا جعل الله له الفيء يضعه حيث يشاء لأنه وصل إليه من قبل الرعب الذي في قلوبهم منه. والفيء كل ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهو ما خلا عنه أهله وتركوه من أجل الرعب وكذا ما صالحوا عليه من جزية أو خراج من وجوه الأموال.»[122]

خامسا: ربط كافة المفسرين - على حد علمي - بين آيات النصر بالرعب والمشار اليها قبل وبين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في النصر بالرعب.[123] كما ربط الإمام «البخاري» بين الأمرين في صحيحه في كتاب الجهاد والسير وكما ذكرنا آنفا.[124]

---

(١٢١) فتح الباري - لابن حجر - حـ٦- ص١٢٨.

(١٢٢) عمدة القاري - شرح صحيح البخاري - حـ١٤- ص ٢٣٥.

(١٢٣) انظر على سبيل المثال:

- تفسير ابن كثير - حـ٦- ص ٥٩٧.
- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - حـ١٨- ص ٣.
- أحكام القرآن - الجصاص - حـ٢- ص ٣.
- محاسن التأويل - القاسمي - حـ٤- ص ٢٥٠.

(١٢٤) الموسوعة - المجلد ٢ - البخاري - حـ٤- ص ١٢.

سادسا: جعل بعض المفسرين إلقاء الرعب في قلوب أعداء المسلمين من البشارات لهم[125] كما جعله بعضهم دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر من إلقاء الرعب في قلوب المشركين فكان كما أخبر به.[126]

سابعا: رغم أن كثيرا من المفسرين قصروا النصر بالرعب على وقائع معينة (كغزوة أحد) أو بقية المغازي الأخرى إلا أننا مع الرأي الآخر الذي جعل الشرك بالله في حد ذاته سببا طبيعيا لإلقاء الرعب في القلب وهذا عام في كل زمان ومكان وفي كافة أصناف المشركين والكفار على اختلاف مللهم ونحلهم وعقائدهم فالكفر كله ملة واحدة.

ثامنا: أنه على قدر الشرك يكون الرعب في قلوب المشركين. وعلى قدر إيمان المؤمنين يكون رعب المشركين. وهي سنة إلهية ثابتة في هذا الكون. فالعلاقة بين الأمرين هي علاقة طردية.

تاسعا: ومن تمام فهم طبيعة السنن الإلهية في مجاهدة أعداء الله، أنه سبحانه كان يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمم المكذبة كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وثمود بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل، وقوم شعيب بيوم الظُلّة، فلما أنزل الله سبحانه التوراه على موسى (عليه السلام) بعد أن أهلك فرعون وقومه بالغرق شرع فيها قتال الكفار

(١٢٥) تفسير ابن كثير - حـ٢- ص ١٢٦.

(١٢٦) أحكام القرآن - للجصاص - حـ٢- ص ٣٢٦.

واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك وذلك لحِكَمٍ كثيرة وردت في القرآن منها الابتلاء والتمحيص للمؤمنين. وقتل المؤمنين للكافرين، أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة : {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين}[١٢٧] ولهذا كان قتل صناديد قريش (كأبي جهل ، وأبي لهب) بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين إزدرائهم أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان[١٢٨]. ومعنى ذلك أنه لا يجب أن ننتظر المعجزات والقوارع لإهلاك أعدائنا ولكن لا سبيل إلا بالقتال والمجاهدة. وبدهي أن يكون القتال للمعتدين علينا من الأعداء أو الذين يظاهرون الأعداء علينا على أي حال وبأي سلاح دون بقية الكفار الذين يرتبطون معنا بمعاهدات ومواثيق. فهؤلاء يجب الوفاء لهم بعهودهم كما هي تعاليم الإسلام.

عاشرا: إن عقيدة المسلم دائما وأبدا أن النصر لا يكون إلا من عند الله، فليس له حول ولا طول فيه، ولذك يذكِّر الله جل ثناؤه المسلمين بتلك العقيدة في قوله تعالى : {وما النصر إلا من عند الله}[١٢٩] معقبا بذلك على إنزال وإرداف الملائكة للمسلمين في غزوة «بدر» . ويقول : «الطبري»

(١٢٧) التوبة /١٤.

(١٢٨) انظر : تفسير ابن كثير - حـ٣- ص ٢٨٧ ,٢٨٨.

(١٢٩) آل عمران / ١٢٦.

في تأويلها: وما تنصرون على عدوكم ، أيها المؤمنون، إلا بنصر الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه، ينصر من يشاء من خلقه.[١٣٠]

فالواجب على المؤمن أن لا يعتمد على ذلك (أي نزول الملائكة) بل يجب أن يكون اعتماده على إغاثة الله ونصره وهدايته وكفايته لأجل أن الله هو العزيز الغالب الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر، والحكيم فيما ينزل من النصرة فيضعها في موضعها.[١٣١]

وآخر دعوانا سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

غغغ

(١٣٠) تفسير الطبري - حـ٤- ص ١٥.

(١٣١) مفاتيح الغيب - الرازي - حـ١٥- ص ١٠٦.

ثبت المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير :

١- أحكام القرآن - لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص - تحقيق محمد الصادق قمحاوي - دار المصحف بالقاهرة - مصر - بدون تاريخ.

٢ - تفسير الطبري عن كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن - هذبه وحققه د. بشار عواد معروف ، عصام فارس الحرستاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط١- ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - صححه محمد فؤاد عبد الباقي - ط٢- ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المعرفة- بيروت - لبنان - ط٢- بدون تاريخ.

٥- تفسير القرآن العظيم - اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار الأندلس- بيروت - لبنان - بدون تاريخ.

٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - للإمام فخر الدين الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١- ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله بن محمد أحمد الأنصاري القرطبي - حققه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش - مكتبة الرياض الحديثة - السعودية - ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٨ - كلمات القرآن - تفسير وبيان - الشيخ حسين محمد

مخلوف - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦- بدون ناشر.

ثالثا: كتب الحديث:

١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - للإمام أبي العلي محمد بن عبد الرحيم المباركفوري - تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية - المدينة المنورة - السعودية - ط٢- ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢- سنن الترمذي - لأبي عيسى محمد بن عيسي بن سورة - مطبوع ضمن موسوعة السنة - دار الدعوة - استانبول - تركيا، دار سحنون- تونس - ط٢- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٣- سنن الدارمي - لأبي محمد بن عبد الله عبد الرحمن الدارمي - مطبوع ضمن موسوعة السنة عاليه.
٤- سنن النسائي - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب - مع شرح الإمام السيوطي- وحاشية السندي - مطبوع ضمن موسوعة السنة عاليه.
٥- صحيح البخاري - للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - مطبوع ضمن موسوعة السنة عاليه .
٦- صحيح مسلم - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج - مطبوع ضمن موسوعة السنة عاليه.
٧- صحيح مسلم بشرح النووي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - بدون تاريخ.
٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - إدارة الطباعة المنيرية - بيروت - لبنان - بدون تاريخ.
٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - مكتبة الرياض الحديثة - السعودية - تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز - بدون تاريخ.

١٠- الفتح الرباني ترتيب منسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرح بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني - ترتيب وتأليف : أحمد عبد الرحمن البنا - دار الشهاب - القاهرة - مصر - بدون تاريخ.

١١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي- بتحرير الإمامين الحافظين : العراقي وابن حجر - مؤسسة المعارف- بيروت - لبنان .

١٢- مسند أحمد بن حنبل - للإمام أحمد بن حنبل - مطبوع ضمن موسوعة السنة عاليه.

١٣- المسند للإمام أحمد بن حنبل - شرحه ووضع فهارسه - أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر - ط٣- بدون تاريخ.

١٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - أ.ى. ونسنك . و ى.ب. منسنج مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة بريل في مدينة ليدن - هولندا - ط١٩٦٢م.

رابعاً: كتب عامة:

- حتى لا تظل الشرعية نصا شكليا- د. علي حسنين- الزهراء للإعلام العربي- القاهرة- مصر - ط١- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

خامساً: معاجم اللغة:

١- القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الشيرازي - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢- مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - دار القلم - بيروت - لبنان - ط١٩٧٩م.